الفصل العشرون

خطة العبور جرانيت

- ☐ لـن نسـحب صاروخا واحدا.. وعلـى المتضرر أن يخبط رأسه فى الحائط..
- ☐ قيادات فلسطينية اتهمت عبد الناصر بالخيانة ومازالت تلهث للحصول على جزء مما تضمنته مبادرة روجرز
- ☐ كيسنجر يدعو إلى طرد السفير السوفياتى
- ☐ خطة طوارئ سـرية لضرب المصالح الأمريكية بالشرق الأوسط
- ☐ مندوب مصر يسأل عبد الناصر:

سـيادة الرئيـس.. ما هو الحـد الأدنى الـذى يرضيك؟

وعبد الناصر يرد: القدس وحقوق الشعب الفلسطينى

ذهب السفير الاسرائيلى فى واشنطن إسحاق رابين إلى كيسنجر، فهو دائما عين وأذن إسرائيل داخل الإدارة الأمريكية، وقال له إذا لم تستطع الولايات المتحدة أن ترغم مصر على سحب صواريخها، كما هو واضح، فعلى الأقل تريد غولدا مائير صفقات كبيرة من الأسلحة الأمريكية تعويضا عن ذلك.

وسأله كيسنجر: ماذا عن الجانب السياسى (فى مبادرة روجرز- الذى يقضى بالانسحاب الاسرائيلى الكامل من سيناء والضفة الغربية وحقوق الفلسطينيين)؟.

قال رابين: بقدر ما يعنينا الأمر، فإن خطة روجرز غير موجودة، إن يارنغ يستطيع أن يجمع الأطراف تحت إشرافه، ولكننا نريد أن تطلق الولايات المتحدة يدنا لكى نتفاوض (مع مصر والأردن تحت أشراف يارنغ) بغير شروط مسبقة.

وقال له كيسنجر محذرا: إذا جئتم إلى الرئيس نيكسون بمثل هذا الحديث، فسوف تستمعون إلى كلمات طيبة من الرئيس، ولكن لا شئ محددا أو ملموسا تحصلون عليه، يجب أن تأتوا إلى الرئيس (أثناء زيارة مائير) بشئ أكثر تحديدا.

وبناء على نصائح كيسنجر قام السفير رابين بإخطار حكومته فى أواخر أغسطس بان الرئيس نيكسون لن يعتبر انتهاكات مصر لوقف إطلاق النار مبررا لرفض إسرائيل المشاركة فى مباحثات يارنغ، ولكن هناك حل- وهنا تأتى فكرة كيسنجر- خلاصتة: «إننا نستطيع تأجيل تعيين ممثلنا فى المباحثات أثناء قيامنا بحث الولايات المتحدة على اتخاذ إجراء دبلوماسى لإزالة الصواريخ المصرية الجديدة».

إن الفرحة الطاغية فى إسرائيل بوقف إطلاق النار فى الجبهة المصرية خلال تلك الفترة، أصبحت على نقيض كامل مع حالة الاكتئاب الطاغية التى بدأت تعيش فيها القيادات الإسرائيلية، فعلى المستوى العسكرى كانت القيادات الإسرائيلية تدرك جيدا معنى نجاح مصر أخيرا فى نقل حائطها الصاروخى إلى القناة، وتحس بالرعب من احتمالات المستقبل. وأقلها العبور المصرى الشامل إلى سيناء، وعلى المستوى السياسى كانت مبادرة روجرز تعنى انسحاب إسرائيل من كل شبر فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية وأيضا: حق الفلسطينيين فى العودة.. أو التعويض.

وفى داخل الإدارة الأمريكية كان هذا الشعور الاسرائيلى بالاكتئاب منعكسا بأوضح ما يمكن على شخص واحد ؛ هنرى كيسنجر، اليهودى الصهيونى الأمريكى المتعصب الذى يشغل منصب مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى، ويقول الصحفى الامريكى سيمور هيرش: «لقد زاد اكتئاب كيسنجر أكثر وأكثر بعد ذلك فى مواجهة جرت بينه وبين وليم روجرز (وزير الخارجية) يوم ٢٥ أغسطس فى سان كليمنت، إن روجرز اتهمه صراحة بأنه يسعى إلى إثارة أزمة من خلال الإصرار الزائد على تصحيح انتهاكات وقف إطلاق النار (المصرية)».

إن نجاح روجرز فى إنجاز وقف إطلاق النار، وتحسين المكانة السياسية للإدارة (الأمريكية) فى الشرق الأوسط قد شجعه وزاد من جرأته بشكل واضح، وجاءت استجابة نيكسون للجدل داخل حكومته بطريقة المعتادة من التسويف والتأجيل.

لقد أعلن يارنغ فى ٢٤ أغسطس عن مشاركة ممثلين لمصر والأردن وإسرائيل فى المباحثات الجديدة تحت إشرافه، وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت تجرجر قدمها فى إذعانها بمبادرة روجرز، إلا أنها استثمرت فى سعيها لفتح أى منفذ يتيح لها القرار من التزام لم يعد أمامها فكاك من تنفيذه، والإدارة الأمريكية اضطرت إلى إبلاغ مصر فى النهاية بموافقتها على الشكاوى الإسرائيلية، وصرحت بإعطاء إسرائيل ١٨ طائرة فانتوم جديدة على أساس أنها تعويض لها عما أسقطته مصر من طائرات الفانتوم قبل ٨ أغسطس، وكذلك بمعدات اليكترونية للتشويش على الصواريخ المصرية.

وأعلنت إسرائيل فى ٦ سبتمر أنها لن تستطيع المشاركة فى مباحثات يارنغ بسبب الانتهاكات المصرية.. ومع ذلك ففى ١٨ سبتمبر، حينما جاءت غولدا مائير لكى تتباحث مع الرئيس نيكسون، وطبقا لرواية السفير رابين، فإن نيكسون «قال لها كلمات طيبة عن التزام الولايات المتحدة بأمن إسرائيل، ووعدها بأنه لن يسمح بتحول ميزان القوى ضدها، على الرغم من أن الميزان تحول فعلا».

ومع ذلك فقد كانت الهستريا الإسرائيلية من الصواريخ المصرية تتزايد. مع أن وقف إطلاق النار مستقر منذ تاريخه إلا أن إسرائيل تمطر أمريكا بالشكاوى.. مدعية بأن ما أدخلته مصر إلى منطقة «التسكين»- أى ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس- ثلاث كتائب صواريخ.. ولهذا لايمكن أن تتفاوض وتلك الصواريخ فى رؤوسها، شكوى أخرى: «مصر أدخلت عشر كتائب صواريخ.. ثم ثالثة ورابعة.. مصر أدخلت ١٤ كتيبة صواريخ فى ليلة

واحدة قبل وقف إطلاق النار.. إذن.. ماذا ستفعله بنا مصر فى باقى الليالى.. عليكم (أى أمريكا) أن تلحقونا بحل فورا.. وإلا.. على مصر أن تسحب الصواريخ.. فهل تصدق أمريكا أن مصر تفعل ذلك فى ليلة واحدة قبل وقف إطلاق النار؟.. وأمريكا تبلغ مصر بالشكاوى الإسرائيلية.. ووزير الخارجية محمود رياض يبلغ المندوب الامريكى: نحن لم نخرق وقف إطلاق النار، وسواء تعلق الأمر بكتيبة صواريخ واحدة أو بعشرة أو بأكثر أو اقل.. فلن نسحب صاروخا واحدا.. وعلى المتضرر أن يخبط رأسه فى الحائط»..

ولم يفهم القائم برعاية قسم المصالح الأمريكية فى القاهرة- دونالد بيرجس- أى حائط ينصح محمود رياض إسرائيل بان تخبط رأسها فيه: حائط المبكى.. أو حائط الصواريخ المصرية؟.

ومع هذا فإن الدبلوماسية الأمريكية سوف تساير الشكاوى الإسرائيلية علنا وتتبناها فى المناقشات التالية التى ستدار بالجمعية العامة للأمم المتحدة، ومع ذلك فلقد «بدا أن الانتهاك المصرى هو قضية ميتة Dead Issue بقدر ما يعنى الأمر الولايات المتحدة.

شيك على بياض

مع ذلك فإن كابوس الصواريخ المصرية، والمضمون السياسى لمبادرة روجرز، جعلا إسرائيل تستمر فى إلحاحها على الإدارة الأمريكية.. لعل وعسى، إن كيسنجر يصور الأمر إلى الرئيس نيكسون بطريقة ماكرة وخبيثة، حيث: «أن الروس قاموا بإذلال الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، وقد تم السماح لهم بذلك دون أن يدفعوا الثمن».

ولم يكن الأمر يتعلق بالروس، لأن الاتحاد السوفيتى لم يكن فى أى وقت طرفا فى ترتيبات وقف إطلاق النار التى وضعتها الولايات المتحدة واتفقت عليها مع كل من مصر وإسرائيل، كما أن الذين أقاموا حائط الصواريخ فى منطقة القناة كلها هم المصريون إنهم رجال اليوم السابع، وليسوا السوفيات، ومع ذلك فان كيسنجر يريد أن يطرح الأمر بهدف محاولة استفزاز الرئيس نيكسون لسرعة التصرف، بحجة أنه على هذا النحو سيعاقب السوفيات وليس أى طرف آخر.

وفى سبيل الترويج لهذا المنطق لم يتورع كيسنجر من استخدام كل الأساليب الملتوية فى محاولاته المستمرة لمساعدة إسرائيل بنسف مبادرة روجرز، ففى بداية شهر سبتمر (١٩٧٠) نشر جوزيف السوب عمودا صحفيا سرعان ما سيصبح حديث كل السلك الدبلوماسى الأجنبى فى واشنطن.

إن جوزيف السوب كان معروفا فى العاصمة الأمريكية على أنه حميم الصلة بكيسنجر مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى وموضع ثقته بأكثر من أى صحفى آخر، كما أنه معروف بأنه «كثيرا ما يستخدمه البيت الأبيض». والآن يكتب السوب عمودا يعبر فى الواقع عن رأى كيسنجر، ويتضمن هجوما حادا ضد وزير الخارجية روجرز، وضد السفير السوفياتى فى واشنطن دوبرينين، حيث قام كيسنجر بإطلاع السوب على ذلك التقرير شديد السرية الذى أعده روجرز عن اجتماعه مع السفير السوفياتى دوبرينين فى الثانى من يونيو ١٩٧٠، فى ذلك الاجتماع قام روجرز بإطلاع السفير السوفيتى على تصريحات لموشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى يقول فيها: إن الصواريخ ذات الأطقم السوفيتية لو اقتربت من قناة السويس بأقل من ثلاثين كيلو مترا فإن هذا يعنى انقلابا فى توازن القوى مع مصر، ويومها قال السفير السوفيتى لروجرز: «إن الوجود السوفيتى فى مصر هو وجود فى العمق لحماية المدنيين من الغارات الجوية الإسرائيلية، ولا علاقة له بجبهة القناة، أو ٣٠ كيلو مترا من القناة».

ووقتها اعتبر كيسنجر أن روجرز قد أعطى بهذا الشكل شيكا على بياض للسوفيات يسمح لهم بأى تحرك عسكرى فى مصر، طالما هو يبتعد عن قناة السويس بأكثر من ٣٠ كيلو مترا، وهو الأمر الذى جعل كيسنجر وقتها يقدم استقالته من منصبه احتجاجا وغضبا، إلى أن اضطر إلى سحبها حينما لم يتجاوب معه الرئيس نيكسون.

دعوة لطرد السفير السوفياتى

والآن فى مطلع سبتمبر ١٩٧٠ يتحدث جوزيف السوب فى عموده عن «أكاذيب سوداء» قالها دوبرينين لروجرز فى ذلك اليوم.. وقال السوب إن انتهاكات وقف إطلاق النار فى الشرق الأوسط بواسطة السوفيات «ودميتهم (المصريين) هى انتهاكات قذرة».. وأضاف قائلا: «إن تململ بعض الرسميين الأمريكيين من الاعتراف بأنهم تعرضوا للخديعة بلا خجل، هو أمر أدى دوره بوضوح فى التملص الامريكى الدنىء والخسيس من حقيقة حدوث انتهاكات مصرية لوقف إطلاق النار».

ولذلك فإنه بالنسبة للسفير السوفياتى دوبرينين، فإن جوزيف السوب يقترح فى عموده بطريقة غير مباشرة: «أن تقوم الولايات المتحدة بإعلانه شخصا غير مرغوب فيه، بسبب كذبه المقنع»!

ويومها «لم تكن هناك أية شكوى لدى احد فى وزارة الخارجية (الأمريكية) أو فى السفارة السوفيتية (بواشنطن) بشأن مصدر معلومات السوب، أو الشخص الذى يعبر هذا العامود من الأساس عن وجهة نظره» وهو- هنرى كيسنجر- مستشار الرئيس نيكسون للأمن القومى.

كان حائط الصواريخ الذى أقامته مصر فى قناة السويس هو إذن مصدر رعب على هذا النحو بين القيادات الإسرائيلية، وكان كيسنجر أداتهم داخل الإدارة الأمريكية وخارجها فى العمل بأى ثمن على جرجرة الولايات المتحدة إلى المواجهة مع الاتحاد السوفيتى، على الرغم من حقيقة أن السوفيات لا دخل لهم فى الموضوع، وحينما اتضح للجميع أن مصر لن تتراجع مطلقا، ولن تسحب صاروخا واحدا من صواريخها فى جبهة قناة السويس، ابتلع كيسنجر، وإسرائيل، غيظهما.. قبل أن تنشق الأرض عن مكان آخر يتفجر فيه هذا الجبل من الغيظ.

التمهيد لأحداث أيلول

ففى الرابع من سبتمبر ١٩٧٠ تلقى الدبلوماسى الأمريكى دين براون أمرا مفاجئا بالسفر إلى البيت الأبيض الغربى فى ولاية كاليفورنيا لمقابلة الرئيس نيكسون. إن براون كان دبلوماسيا محترفا، وقد انتهى لتوة من الخدمة فى السنغال وجامبيا فى غرب أفريقيا كسفير للولايات المتحدة، وعلى الرغم من أنه لم يكن خبيرا بشئون الشرق الأوسط، إلا أنه تم إبلاغه مؤخرا بأنه سيعين سفيرا للولايات المتحدة فى لبنان.

والآن يذهب دين براون لمقابلة الرئيس نيكسون فى الرابع من سبتمبر، حيث وجد إلى جانبه هنرى كيسنجر، والذى جلس يسجل محضر المقابلة.

وكان هناك معنى محدد ركز علية الرئيس نيكسون فى تلك المقابلة، حيث هو: «يؤمن الآن بأن الحرب أصبحت حتمية فى الشرق الأوسط، وهى حرب يمكن أن تعجل بالحرب العالمية الثالثة. فالولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى يتخذان موقف المقاتلين ضد بعضهما البعض».

وقال الرئيس نيكسون للسفير إن السوفيات قد بدأوا يثيرون المتاعب فى الشرق الأوسط، هم والدول المتعاملة معهم (يقصد مصر وسوريا)، وهو الآن يختاره سفيرا له فى الأردن، وليس فى لبنان كما تم اختياره من قبل.. «لأن منظمة التحرير الفلسطينية التى يساعدها

السوفيات أصبحت تمثل تهديدا مباشرا للنظام الاردنى... على حد قوله؛ ولذلك فستكون مهمة براون هى تدعيم النظام الاردنى بكل وسيله ممكنة».. من هنا فإن على دين براون أن يذهب إلى الأردن فورا كسفير للولايات المتحدة، ومن هناك عليه إبلاغ الرئيس نيكسون فورا بأية معلومات هامة تطرأ فى الفترة القادمة.. وأن يكون هذا التبليغ من خلال هنرى كيسنجر، وليس عن طريق الخارجية!

ولم يكن للاتحاد السوفيتى علاقة بالشقاق المتزايد بين منظمة التحرير الفلسطينية والملك حسين فى الأردن، ولكن المنظمة من جانبها كانت قد صعدت هجومها ضد الملك حسين منذ أسابيع قليلة كجزء من هجومها ضد جمال عبد الناصر، بسبب قبول مصر والأردن لمبادرة روجرز، التى اعتبرتها المنظمة من جانبها خيانة للقضية الفلسطينية، ومؤامرة من جمال عبد الناصر والولايات المتحدة هدفها «تصفية» القضية الفلسطينية!

خطف الطائرات

فى السادس من سبتمبر ١٩٧٠، أى بعد يومين اثنين من حديث دين براون مع نيكسون وكيسنجر فى تلك المقابلة غير المعلنة، قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين باختطاف طائرة ركاب سويسرية، وطائرتي ركاب أمريكيتين، (ثم طائرة بريطانية رابعة بعدها بثلاثة أيام).. وأصبحت تحتجز خمسمائة من الركاب المدنيين فى مطار قريب من العاصمة الأردنية عمان، فضلا عن تفجير الطائرات ذاتها، وإحداهما تم تفجيرها فى مطار القاهرة بمجرد هبوطها على أرض المطار.

إن تلك الأحداث سوف تؤدى سريعا إلى حرب أهلية دامية فى الأردن، وإلى أزمة كبرى تلعب إسرائيل فيها دورا هاما- بناء على مشورة كيسنجر- وستكون لها تأثيرات طويلة المدى، على الرغم من المؤتمر الطارئ للقمة العربية الذى دعا إليه عبد الناصر، لإيجاد حل وتم فعلا فى القاهرة، بهدف منع الأردن من المضى فى سحق أفراد منظمة التحرير الفلسطينية وقياداتها- ومن بينها نفس القيادات- التى تتهم عبد الناصر منذ أسابيع بالخيانة العظمى.

لقد كانت نذر تلك السحب السوداء تتجمع فى سماء الأردن منذ شهر يونيو على الأقل، حينما هددت إحدى مجموعات منظمة التحرير الفلسطينية باغتيال الملك حسين، وكانت هناك مناوشات متجددة بين وقت وآخر بين الجيش الاردنى وقوات منظمة التحرير الفلسطينية فى الأردن، وقد حذر عبد الناصر الطرفين مبكرا من مغبة عدم احتواء تلك

الخلافات بسرعة، وأولا بأول، مبلغا كلا من الملك حسين وياسر عرفات بأن لديه معلومات عن خطة أميركية وإسرائيلية لتصفية المقاومة الفلسطينية.

اتهام عبد الناصر بالخيانة

مع ذلك، فبمجرد أن أعلنت مصر والأردن قبولهما لمبادرة روجرز فى ٢٢ و ٢٦ يوليو، قام عدد من قيادات منظمة التحرير الفلسطينية بمهاجمة جمال عبد الناصر علنا، بحجة أنه «خائن» يبيع القضية الفلسطينية للأمريكيين!.

ولم تدرك تلك القيادات فى وقتها أبدا معنى تلك الحرب السياسية الكبرى التى تشنها إسرائيل ضد مبادرة روجرز، كما أن جمال عبد الناصر لم يكن فى حل من إذاعة أسرار عسكرية مصرية أمام الميكروفونات، متحدثا عن أهمية ومعنى حائط الصواريخ الجديد الذى تحملت مصر كل التضحيات لكى تستكمله تماما فى الساعة الواحدة من صباح ٨ أغسطس ١٩٧٠، وسوف تظل القضية الفلسطينية، والشعب الفلسطينى، بل والعالم العربى كله، يدفع كثيرا وطويلا ثمن ما جرى فى الأردن خلال تلك الأيام الدامية من سبتمر ١٩٧٠. كما أن علامات الاستفهام ستظل تلاحق جميع أطراف تلك الحرب الأهلية التى نشبت وتصاعدت فجأة فى الأردن- سواء فيها الذين قاموا بالفعل أم برد الفعل، وسوف تظل نفس القيادات الفلسطينية التى هاجمت مبادرة روجرز تلهث لعشرات السنين بعدها وهى تحاول الحصول على جزء واحد مما كانت تلك المبادرة تكفله- وهو استعادة الضفة الغربية- دون جدوى!

إن فاتورة الحساب بدأ تسديدها فيما بعد، ولكن فى تلك الأيام من شهر أغسطس ١٩٧٠ لم يكن هناك سوى نذر متزايدة بالخطر داخل الأردن، ورعب من الصواريخ المصرية ومبادرة روجرز داخل إسرائيل، وتصميم فولاذى داخل مصر للمضى فى تحرير سيناء بالقوة المسلحة طبقا للخطط العسكرية الموضوعة والتى أصبحت جاهزة للتنفيذ، حيث أقام جمال عبد الناصر حساباته للمستقبل على أساس أن فرصة مبادرة روجرز فى التنفيذ لا تتعدى نصفا فى المائة ووضع كل ثقته فى القوات المصرية المسلحة ورجال اليوم السابع.

عبد الناصر يبلغ الزيات

أما عبد الناصر نفسه، فقد سافر إلى الإسكندرية للراحة أياما قليلة بناء على نصائح الأطباء، بعد متابعته المرهقة والمضنية لاستكمال بناء حائط الصواريخ ومتابعة التدريبات

العسكرية، ومع ذلك فإن المضى مع المبادرة الأمريكية حتى النهاية أصبح يستلزم قيام مصر بتعيين ممثلها فى تلك المباحثات، وقد تم إخطار السفير يارنغ بأن الدكتور محمد حسن الزيات مندوب مصر فى الأمم المتحدة حينئذ، سيكون هو ممثل مصر فى تلك المباحثات.

كان الدكتور الزيات وقتها يمضى إجازة قصيرة بالقاهرة، وقبل عودته إلى مقر عمله فى نيويورك تم استدعاؤه لمقابلة الرئيس جمال عبد الناصر فى الإسكندرية، وبمجرد أن دخل الدكتور الزيات وبدأ عبد الناصر على الفور يشرح له تصوره لأبعاد المهمة التى سيقوم بها فى نيويورك.

ويقول الدكتور محمد حسن الزيات: إننى لم أكن فى أى وقت من المقربين إلى الرئيس جمال عبد الناصر، ولا ضمن دائرة مستشاريه وكبار مساعديه، ومع ذلك فإننى أدركت يومها مبلغ الصدق والجدية والتصميم الفولاذى الذى يتحدث به عبد الناصر عن احتمالات المستقبل، إن الرئيس كان ودودا ومجاملا إلى أبعد حد، بحيث إنه حينما رأى أن سجائرى نفدت، ذهب إلى الداخل وأتى لى بعلبة سجائر سرعان ما بدأت انفث دخانها سيجارة بعد سيجارة، ولم أنتبه إلا فيما بعد، لحقيقة أن الرئيس نفسه ممنوع من التدخين حسب أوامر الأطباء منذ مدة.

لقد شرح الرئيس عبد الناصر للدكتور الزيات تصوره لأبعاد مبادرة روجرز الكاملة من الناحية السياسية، فهى تعنى انسحاب إسرائيل الكامل من كل شبر فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية، بما فيها القدس العربية، وهى تعنى أيضا حق الفلسطينيين فى العودة أو التعويض طبقا لقرارات الأمم المتحدة.

ثم قال جمال عبد الناصر للدكتور محمد حسن الزيات: - اننى واثق تماما، ومقدما، من أنك ستقوم بمهمة التباحث مع يارنغ على أحسن وجه، وأنا واثق أيضا من أنك الرجل المناسب لهذه المهمة الدقيقة، ولكن.. دعنى أصارحك من الآن.. لا تفاجأ بعد هذا كله بأنك لن تصل إلى شىء.. فالذى سيرغم إسرائيل على الإذعان فى النهاية هو قواتنا العسكرية وحدها، ولا شىء آخر.

القدس وحقوق الشعب الفلسطينى

وسأله الدكتور الزيات: سيادة الرئيس.. إننى سأكون فى نيويورك.. ولن أستطيع استشارة القاهرة مسبقا فى كل صغيرة وكبيرة مما يحتمل أن يدور فى المباحثات حينما تبدأ.. فأنا لا

أستطيع العمل بالريموت كونترول.. ولذلك اسمح لى أن أطرح عليك سؤالا صريحا، أرجو أن أعرف منك إجابته الآن، ليس لأننى سأذهب فى أول جلسة مباحثات مع يارنغ وأقول: هذا هو موقف مصر.. ولكن فقط لكى أعرف كمفاوض هناك.. ما الذى يرضيك هنا..

وسكت الدكتور الزيات برهة قبل أن يصوغ سؤاله على النحو التالى: سيادة الرئيس.. ما هو الحد الأدنى الذى لن يرضيك ما هو أقل منه؟.

وقال له جمال عبد الناصر: القدس، وحقوق الشعب الفلسطينى، هذا هو حدنا الأدنى. وطبقا لانطباع الدكتور الزيات، فإن تلك الكلمات خرجت من فم عبد الناصر وهى تحمل أقصى درجة من الهدوء.. والإرادة الفولاذية.

وهنا سأله الدكتور الزيات: فى هذه الحالة.. هل ستوافق على الاعتراف بإسرائيل فى شكل وثيقة تودعها بالأمم المتحدة؟

قال عبد الناصر: نعم.

وفيما بعد، قال لى الدكتور محمد حسن الزيات: طوال عودتى فى الطريق بعدها كنت أتأمل هذا الحوار، وأدركت أن سؤالى عن الاعتراف بإسرائيل كان تحصيل حاصل.. وإجابة الرئيس جمال عبد الناصر عن سؤالى كانت تمثل بعد نظر، ورؤية عميقة، من جانبه، فإذا وصلنا إلى استرداد الضفة الغربية، والقدس، فضلا عن سيناء وقطاع غزة بالطبع، وكذلك الجولان.. وإذا وصلنا إلى إذعان إسرائيل لحق الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم فيما قبل سنة ١٩٤٨ (وهو أقصى ما كان يحلم به الفلسطينيون حينئذ).. فإن ورقة اعتراف بإسرائيل، نودعها فى سجلات الأمم المتحدة، سوف تكون تحصيل حاصل.

وأضاف الدكتور الزيات مبتسما: فى الواقع أنه بتلك الإجابة من الرئيس جمال عبد الناصر تبخرت من ذهنى عشرات الأسئلة التى كنت قد رتبتها فى عقلى، فبإجابته تلك اختصر الرئيس كل الأسئلة وحدد محطة الوصول. لكنى أيضا خرجت بنتيجة أخرى وهى أن الرئيس عبد الناصر لا يضع تفكيره مطلقا فى هذه المبادرة، فتفكيره كله فى القوات المسلحة وفى تحرير الأرض بالقوة وليس بفصاحة الدبلوماسيين من أمثالى.

خطة العبور «جرانيت»

لم يكن اجتماع جمال عبد الناصر بالدكتور محمد حسن الزيات سوى جزء من سلسلة اجتماعات مهمة عقدها عبد الناصر فى تلك الفترة لمراجعة الخطوة القادمة بعد قبول

«مبادرة روجرز». وكان واضحا تماما أن أهم ما يشغل بال عبد الناصر هو الخطط العسكرية المقررة، وهكذا عقد سلسلة اجتماعات مع الفريق محمد فوزى وزير الحربية لمناقشة الخطة «جرانيت» التى تقضى فى مرحلتها الأولى بعبور القوات المسلحة المصرية قناة السويس والتقدم شرقا فى سيناء للاستيلاء على المضايق- على مسافة ٤٠- ٥٠ كيلو متر من قناة السويس، حيث تمثل تلك المضايق نقطة التحكم الاستراتيجية فى سيناء كلها.

طبقا لما هو مقرر فى الخطة، فإن هذا الهجوم العسكرى المصرى الشامل سيتم تنفيذه فى مارس- إبريل ١٩٧١ تحت حماية حائط الصواريخ الجديد فى جزئه الأكبر، ثم ما اسماه عبد الناصر «تعادل جوى محلى» فى المنطقة من القناة إلى المضايق. وعلى الرغم من القيود الدولية التى ارتبطت بها صفقة طائرات الميراج الفرنسية إلى ليبيا، إلا إنه كان من المفهوم استخدامها كوسيلة إضافية للردع- وكان عدد طائرات الميراج التى ستتسلمها ليبيا حتى ربيع ١٩٧٠ يتجاوز ٤٤ طائرة، وذلك بالإضافة إلى الطائرات القاذفة السوفيتية الجديدة، التى تمت كل تجهيزاتها فى مصر وارتبط السوفيات بإرسالها إلى مصر خلال ستة ساعات من طلبها.

وعلى الرغم من أن المقدرة العسكرية المصرية كانت هى المحور الأساسى فى تفكير عبد الناصر، إلا إنه كان يخطط أيضا لحشد مجموعة أخرى من عوامل الضغط تكون مصاحبة لها، وفى هذا الإطار مثلا، جاءت تلك الاتفاقية السرية التى عقدها عبد الناصر مع سوريا فى سنة ١٩٦٩ لتنسيق العمل العسكرى بين الجبهتين المصرية والسورية حينما تحين اللحظة المناسبة.

خطة لضرب المصالح الأمريكية

كذلك، جاءت فى هذا الإطار تعليمات جمال عبد الناصر لجهاز المخابرات العامة فى مصر، بعد أن قرر أن يتولى مسئوليته محمد حافظ إسماعيل، وأصبحت تعليمات عبد الناصر للرئيس الجديد للمخابرات العامة هى إنه: «لم يكن من المستبعد أن تفشل المبادرة الأمريكية.. والمتوقع عندئذ أن تقوم قواتنا بعمليات حربية فى ربيع ١٩٧١ وكان علينا أن نعد أنفسنا لهذا الاحتمال، ولهذا فقد احتل التعرض للمصالح الغربية فى منطقتنا بالتنسيق مع عملياتنا السياسية والعسكرية مكانا هاما فى تقديراتنا، إلا أننا لم نكن غافلين عن طبيعة هذا السلاح ذى الحدين، فبينما كان من المتوقع أن تؤدى الضغوط الاقتصادية

علـى القـوى الغربيـة إلى إرغامها على اتباع سياسـة عادلة تجاه قضيتنـا.. فقد كان من الضرورى أن نأخذ فى اعتبارنا قدر الأضرار المادية التى يمكن أن تلحق بالشـعوب العربية نتيجة استخدام سلاح الضغط الاقتصادى ضد القوى الغربية».

ويسترسـل محمـد حافظ إسماعيل فى مذكراته التى حملـت عنوان «أمن مصر القومى فـى عصر التحديات» فى شـرح تفكير عبد الناصر فى تلك النقطـة، فيقول إنه: «توقعا لأى قـرار فى هذا الصدد، فقد بدأنا فى إعداد خريطة كاملة ودقيقة للمصالح الغربية فى المنطقـة توضح الأهداف التى يمكـن التعرض لها بالعمل الايجابى» حينما تحين اللحظة المناسبة الوشيكة.

□□□